الحكمة عند المسنين
دراسة بالمنهج الظاهراتى
Wisdom at old age: A phenomenological study

د. سنية جمال عبدالحميد
أستاذ مساعد ورئيس قسم علم النفس
كلية الآداب بسوهاج جامعة جنوب الوادى

ملخص البحث

تعد الحكمة ***Wisdom***، بصفة عامة، قمة الاستبصار فى الوضع الإنسانى، وهى سمة ذات أبعاد متعددة ليس من السهل إخضاعها للدراسة العلمية، واهتمام السيكولوجيين بها حديث اذا استثنينا "ستانلى هول" "وإريك إريكسون". ومنذ حوالى ثمانينيات القرن العشرين انشغل السيكولوجيون بها مدفوعين بالاتجاهات النظرية للنمو مدى الحياة، والجوانب الإيجابية لأخر الحياة. وأسفرت الدراسات عن قسمين كبيرين من النظريات التى تصف الحكمة أحدهما هو النظريات الضمنية والثانى هو النظريات الصريحة.

ولما كان الاتجاه الظاهراتى يهدف إلى فهم الخبرة الذاتية، وفهم الظاهرة كما مرت فى خبرة الشخص الذى عاشها ومن منظوره، لذلك فهو يصلح لدراسة الحكمة طبقا للنظريات الضمنية التى تدرس الحكمة كما تبدو فى لغة الحياة اليومية وخبراتها وما يتميز به من يُوصفون بأنهم حكماء، وهو ما قامت به الباحثة فى الدراسة الحالية.

وفى حدود علم الباحثة، لا توجد دراسات عربية سيكولوجية للحكمة وهذا يضيف أهمية للبحث الحالى. وقد استخدمت الباحثة طريقة المقابلة الفردية مع خمسة – من الراشدين الكبار– وتتراوح أعمارهم بين (٦٠-٦٥سنة) من أجل التعرف على خبراتهم المتعلقة بما اتخذوه من قرارات حكيمة فى حياتهم وكذلك خصائص الذين عرفوهم من خلال خبراتهم الذاتية اليومية ،وصفاتهم ويرون أنهم يتصفون بالحكمة.

وقد قامت الباحثة بتسجيل المقابلات وتحليلها وتفسيرها وتوصلت إلى أن العناصر الجوهرية للحكمة كما عاشها أفراد عينة البحث هى كالتالى:

- يتصف الحكيم بصفات معرفية وانفعالية واجتماعية.
- ويتمتع بفضائل خلقية، وهو متدين أيضاً.
- تبدو الحكمة من خلال العلاقات الاجتماعية الواسعة؛ حيث يقوم بالنصح والإرشاد واتخاذ القرارات فى المواقف الصعبة، وحل المشكلات يُعينه على ذلك خبرته ومعرفته التى تراكمت خلال الزمن، وكذلك أصل طيب وأفراد كبار فى أسرته ومحيطه، يستقى منهم أصول الحكمة.

الحكمة عند المسنين

دراسة بالمنهج الظاهراتى

Wisdom at old age: A phenomenological study

د. سنية جمال عبدالحميد
أستاذ مساعد ورئيس قسم علم النفس
كلية الآداب بسوهاج جامعة جنوب الوادى

إطار نظرى ودراسات سابقة

مدخل:

منذ فجر الإنسانية والحكمة تعد غاية المعرفة والفعالية الشخصية. بل إنها من أسمى أشكال المعرفة والمهارة؛ وهى من أعز القيم الإنسانية، وقد تعالت وسمت حتى وصلت إلى مستوى الفضيلة. والحكمة هى درة الجواهر المعرفية، ومسعى الفلاسفة منذ القديم حيث اعتبرت الفلسفة حب الحكمة، وموضع اهتمام كثير من المتخصصين السياسيين والأنثروبولجيين الثقافيين واللاهوتيين وغيرهم. ونجد فى كل لغة وفى كل تاريخ ثقافى اهتماماً بها، فى الصين والهند وإيران ومصر وغيرها.

لكن السيكولوجيين حديثو الاهتمام بالحكمة (فيما عدا "ستانلى هول" "وإريك إريكسون") حيث بدأت دراستها الإمبريقية منذ حوالى ثمانينيات القرن العشرين بعد عقود عديدة من التجاهل.

وخيرا فعل السيكولوجيون، فما أحوجنا حقيقة إلى دراسة الحكمة وإدراكها وتنميتها، خاصة فى عصرنا الحالى، الذى قد يبدو أنه ليس لديه وقت للحكمة، وهو فى أمس الحاجة إليها، كى يجد مخرجا مما يموج به من أسلحة نووية، واستنساخ للبشر، وما تأتى به فضائيات التليفزيون، والمصانع الملوثة للبيئة، ومستويات الإسراف والاستهلاك الغربية المتطرفة، وانتشار المجاعات والأوبئة والأمراض الفتاكة والحروب الأهلية والاستعمارية فى دول ومناطق أخرى.

على أن دراسة الحكمة ليست بالمهمة السهلة، فهى تنتمى إلى فئة من الظاهرات النفسية التى يصعب تحديد مفهومها، أو تفسيرها من خلال التحليل العلمى، "وينظر إليها بصفتها جزءاً من دفيئة خاصة مخفية بطريقة اجتماعية وأى مجهودات تبذل لتفسيرها وتحويلها إلى موضع تساؤلات العلمية والمعرفة العامة ترتبط بالتغيير فى أساسها الأصلى".
(Paul B. Baltes, Jacqui Smith, 1990, p. 89).

ولهذه الصعوبة تجاهل السيكولوجيون فى دراساتهم وخاصة المبكرة مشكلة تعريف الحكمة، ودرسوا خصائص الشخص الحكيم وصفاته وكيف تبدو الحكمة فى خبرات الحياة اليومية.

- ويرى "روبرت ج. ستيرنبرج" ***Robert J. Sternberg*** (١٩٩٠ أ) أننا لكى نفهم الحكمة جيداً

وبإتقان قد يتطلب ذلك قدراً من الحكمة أكبر مما لدى كل منا، ولذلك فلن نستطيع فهم طبيعة الحكمة بسبب قصور حظنا منها. والفهم الكامل للحكمة أبعد من حدود إمكانات العلماء فهو شيء يتوهمون الاقتراب منه ولكنهم لا يستطيعون تحقيقه، وإذا اعترفوا بأن الفهم الكامل للحكمة يراوغهم دائماً فإن هذا الاعتراف نفسه علامة على الحكمة. ***(Robert J. Sternberg, 1990 A, p. 3).***

ولذلك فإن اكتساب الحكمة يستغرق الحياة كلها ولا يتحقق ذلك إلا للقلة فقط.

ورغم تعدد وجهات النظر تجاه الحكمة وصفات الحكماء وعناصر الحكمة العقلية والشخصية، وعلاقتها بالسن والخبرة وغيرها فقد ميز السيكولوجيون بين قسمين رئيسيين من نظريات الحكمة:

القسم الأول: هو ما يطلق عليه النظريات الضمنية ***Implicit Theories*** وهى التى تدرس الحكمة كما تبدو فى لغة الحياة اليومية وخبراتها وتهتم بما يتميز به الناس الحكماء، وتقع الدراسة الحالية تحت هذا الاتجاه.

والقسم الثانى: هو ما يسمى بالنظريات الصريحة الواضحة ***Explicit Theories*** وهى التى تتضمن الأبنية النظرية المحكمة عن الحكمة التى ربما توصل إليها العلماء معتمدين فى ذلك على نتائج النظريات الضمنية، ثم أخضعوها للدراسة باستخدام أدوات وإجراءات قياس مضبوطة من أجل تحديد مؤشرات الحكمة، ومفاهيمها ونتائجها وعلاقاتها بغيرها من المفاهيم المرتبطة بها. وتنقسم هذه النظريات إلى ثلاث مجموعات فى الأولى تصاغ الحكمة كخصائص شخصية أو مجموعة من الاستعدادات الشخصية، وفى الثانية تصاغ الحكمة فى نموذج للتفكير ما بعد الشكلى والجدلى عند المجددين لنظرية بياجيه، أما المجموعة الثالثة فتصاغ الحكمة فى نسق معرفة خبير يتعامل مع المعنى والسلوك فى الحياة. وخير مثال على هذه المجموعة الأخيرة العمل الذى تم فى مؤسسة ماكس بلانك ببرلين بألمانيا حيث تم تحديد الحكمة بأنها: "معرفة خبير بالجوانب العملية الجوهرية للحياة تسمح بالاستبصار الاستثنائى والحكم الذى يشمل أمورا معقدة غامضة عن الوضع الإنسانى".

ويتطلب بناء المعرفة والمهارات المرتبطة بالحكمة فى هذا المنظور، خبرة فى المنافع الجوهرية للحياة واستبصاراً بالجوانب الضرورية التى تشكل منظومة الوضع الإنسانى، شاملة محدوديته البيولوجية وتكيفه الثقافى. وفى المركز تكون التساؤلات عن السلوك والتفسير ومعنى الحياة. وبصفة خاصة يمكن أن تتميز المعرفة والمهارات المرتبطة بالحكمة، بوحدة ذات خمسة معايير هى:

١- معرفة حقيقة ***Factual Knowledge*** غنية عن الحياة.
٢- معرفة إجرائية ***Procedural knowledge*** غنية عن الحياة.
٣- سياقية مدى الحياة ***life-span contextualism***.

٤- نسبية قيميه *value relativism*.

٥- معرفة وبراعة فى التعامل مع الغموض والشك.

Awareness and management of uncertainty.

ومن أجل قياس المعرفة والمهارات المرتبطة بالحكمة يقدم للمفحوصين قضايا حياتية مختلفة مثل "تخيل أن صديقاً حميماً لك اتصل بك وأخبرك بأنه لم يعد يستطيع الاستمرار أكثر من ذلك وقرر أن ينتحر" ماذا يجب عليك أن تفعل أو تقول له فى هذا الموقف؟.

ويتم تقدير استجابات التفكير بصوت عالٍ للمشاركين، وتطبق الوحدة ذات المعايير الخمسة المرتبطة بالحكمة على الاستجابات. وقد اتفقت نتائج الدراسات التحققية مع افتراضات هذا النموذج. (لمزيد من التفاصيل عن النظريات الصريحة ونتائج دراسات مجموعة مؤسسة ماكس بلانك انظر:

(Paul B.Baltes, Jacqui Smith, 1990- Paul B. Baltes, et. al., 1991- Paul B.Baltes, 1995- Paul B. Paltes, Ursula M. Staudinger, 2000).

ولأن الاتجاه الفينومنولوجى كما دعى إليه "ادموند هوسرل" ***Edmund Husserl*** ويُعنى بدراسة المعطيات والوقائع التى تبدو للوعى أو الشعور لكى يتم التعرف عليها على نحو ما نحياها فى صميم وعياً دون الأخذ بأية نظرية من نظريات المعرفة كنقطة انطلاق لها، (على عبدالرازق جلبى، ١٩٩١، ص٤١٠). وهدفه فى ذلك هو فهم الخبرة الذاتية وفهم الظاهرة كما مرت فى خبرة الشخص الذى عاشها ومن منظوره، لذلك يعد طريقة مناسبة للتعرف على خبرات المفحوصين المتعلقة بما اتخذوه من قرارات حكيمة فى حياتهم وكذلك خصائص الأشخاص الذين عرفوهم من خلال خبراتهم الذاتية اليومية وصفاتهم ويرون أنهم حكماء.

أولاً: الدراسة السيكولوجية للحكمة

١- لمحة تاريخية

بعيداً عن الدراسات الفلسفية والدينية التى كانت مجالاً رئيسياً للكشف عن مفهوم الحكمة نجد أن ج ستانلى هول ***G. Stanley Hall*** (١٩٢٢) – وقد كان أول رئيس للرابطة الأمريكية لعلم النفس – واحدٌ من أوائل السيكلوجيين الذين كتبوا عن الحكمة؛ ففى أعماله فى آخر حياته ربط الحكمة بظهور مجموعة من الصفات فى مرحلة الرشد المتأخر، كالاتجاه التوسطى، والهدوء الفلسفى والتجرد والرغبة فى استخلاص الدروس الخلقية ***(Paul B. Baltes, Ursula M. Staudinger, 1995, p. 972).*** وقام بنشر مقال عنها فى مجلة أطلنطا الشهرية فى سنة ١٩٢١م. ***(Paul B. Baltes, Ursula M. Staudinger, 2000, p. 123).***

والسيكولوجيى الثانى هو إريك إريكسون ***Eric Erikson***، ففى نظريته عن المراحل المتتالية لنمو الشخصية كنموذج للنمو مدى الحياة اعتبر تحقيق التكامل والحكمة آخر شكل من

فعالية الشخصية وأعلاها، وهى مرحلة تصل فيها الأنا إلى التأكد من الميل إلى النظام والمعنى والتكامل الانفعالى وقبول الفرد لنفسه، وتتميز هذه المرحلة بالمثالية والحكمة وسهولة التكيف، وقوة الأنا والتماسك، والقدرة على الاستمتاع، وعلى تمرير بعض هذه الخصائص إلى الأجيال اللاحقة. *(Kornhaber, 1996, pp. 54- 55).*

ويتطلب تحقيق هذه المرحلة الأخيرة من نمو الشخصية، براعة فى مهام الحياة السابقة من ناحية، وظروف ميسرة ومعززة مرتبطة بالبيئة الاجتماعية من ناحية أخرى. والحكمة عند "إريكسون" ضرورية فى التعبير الكامل عن الهوية الناضجة بما تتضمن من إعلاء للاهتمامات الشخصية، والسيطرة على المحدوديه الذاتية والانتباه للموضوعات الجمعية والعامة. *(Paul B. Baltes, Ursula M. Staudinger, 1995, p. 973).*

وصاحب ظهور اتجاه علم النفس مدى الحياة الاحتفاظ بالحكمة فى مجال التحليل النفسى. ولم يهتم العلماء والباحثون السيكولوجيون بعد ذلك بموضوع الحكمة وينشغلون به إلا منذ ثمانينيات القرن العشرين وكانت معظم الدراسات فى بدايتها نظرية وليست إمبريقية، والكتاب الذى حرره روبرت ج ستيرنبرج فى سنة ١٩٩٠م، كان وحيداً فى هذا الاتجاه النامى بدراسة الحكمة حيث لم يكن أمام من يريد دراسة الحكمة، إلا أن يلجأ إلى الموسوعات.

وحملت الألفية الثالثة بشائر إحياء الاهتمام بموضوع الحكمة من جانب عدد من المشتغلين بالعلم فى تخصصات مختلفة سعياً وراء تحقيق أهداف المجتمع فى دراسة إنجازاته، وإمكاناته، وتحديد اتجاهات المستقبل تحقيقاً لخيرة ورفاهيته. *(Paul B. Baltes, Ursula M. Staudinger, 2000, pp. 122- 123).*

٢-دوافع دراسة الحكمة:

يذكر بول ب. بالتس وجاكى سميث (١٩٩٠) أن اهتمام السيكولوجيين بدراسة الحكمة مدفوع بثلاثة خطوط عامة فى البحث السيكولوجى:

أولها: الاهتمام بدراسة المستويات العليا من الأداء الإنسانى الذى يمكن أن يعد استثنائياً وماهراً.

ثانيها: بحث الجوانب الإيجابية لعقل كبار السن.

ثالثها: الاهتمام بالعمل على مفاهيم الذكاء التى تعكس ملامح سياقية وعملية للوظائف اليومية.

بالإضافة إلى ذلك فدراسة الحكمة مدفوعة بخطين بصفة خاصة فى البحث نشأ من النظريات والدراسات الخاصة باتجاه النمو مدى الحياة وما يرتبط بها من افتراضات نظرية خاصة بعلم النفس المعرفى مدى الحياة والدراسة النمائية للمعرفة فى سياق الشخصية ومنافع الحياة. *(Paul B. Baltes, Jacqui Smith, 1990, p. 87).*

ومن خلال روح الاتجاه الحديث لعلم النفس الإيجابى ***Positive Psychology*** أثير اهتمام

العلماء والسيكولوجيين بدراسة الحكمة من أجل تحديد وإعلاء أفضل ما يمكن أن ينجزه المجتمع والأفراد فيما يخص نموهم الخاص ونمو الآخرين.
(Paul B. Baltes, Ursula M. Staudinger, 2000. P. 122).

٣-النظريات الضمنية للحكمة:

النظريات الضمنية هى أبنية يقوم الناس ببنائها، وهى تكمن فى عقول هؤلاء الناس وهى بذلك تكون ما يُعرف بعلم النفس الشعبى ***Folk Psychology*** للناس. وتحتاج مثل هذه النظريات لمن يكتشفها وليس لمن يخترعها لأنها موجودة بالفعل فى شكل ما فى رءوس الناس *(Robert J. Sternberg, 1990 B. P. 142).*

ويفيد اكتشاف النظريات الضمنية فى صياغة وجهات النظر الثقافية المشتركة التى تسود التفكير عن بيئة سيكولوجية معينة كاستخراج أوصاف لسليمان كحكيم ولأينشتين كذكى وميلتون كمبدع. ويمكن أن يساعدنا فهم النظريات الضمنية على فهم النظريات الواضحة ويزودنا بأساس لها حيث تشتق منها. وما يدرس هنا هو السؤال عن كيف يستخدم مصطلح الحكمة فى لغة الحياة اليومية وبماذا يتميز الناس الحكماء؟.

ومن الدراسات على النظريات الضمنية للحكمة والأشخاص الحكماء فى العالم الغربى يرى "بول ب. بالتس" أن الناس لديهم صورة واضحة تماما عن طبيعة الحكمة:

- ففى عقول الناس يبدو أن الحكمة ترتبط جداً بالأشخاص الحكماء كحاملين للحكمة.
- ومن المتوقع أن يجمع الناس الحكماء ملامح فى العقل والشخصية.
- وتتضمن الحكمة جانباً قوياً بين شخص واجتماعى بالنسبة لكل من تطبيقها (النصيحة)، والاعتراف الذاتى بوجودها.
- وللحكمة مظاهر تتداخل مع مفاهيم أخرى مرتبطة معها مثل الذكاء، ولكن فى جوانب مثل الحصافة ***Sagacity*** والحذر، وتكامل المعرفة والانفعال والدافعية وهى تحمل أيضاً تنوعاً فريداً. *(Paul B. Baltes, Ursula M. Staudinger,1995, p. 972).*

ونتيجة لسلسلة من الدراسات قام بها "روبرت ج ستيرنبرج" (***B*** ١٩٩٠) توصل منها إلى ست عناصر للحكمة تمثل خصائص الشخص الحكيم وسماته هى كالتالى:

١-القدرة على الاستدلال ***reasoning ability***.

ويشمل هذا العنصر على:

لديه القدرة الفريدة على النظر إلى المشكلة أو الموقف وحله، ولديه قدرة جيدة على حل المشكلات، ولديه عقل منطقى، وماهر فى التمييز بين الإجابات الصحيحة وغير الصحيحة، وقادر على تطبيق المعرفة على مشكلات خاصة، وقادر على وضع معلومات ونظريات قديمة مع غيرها بطريقة جديدة، ولديه مخزون هائل من المعلومات، ولديه القدرة على معرفة التشابهات

والاختلافات، ولديه القدرة على التفكير بوضوح، ويقوم بعمل العلاقات والتمييز بين الأفكار والأشياء.

٢-الحصافة *Sagacity*

يُظهر الاهتمام بالآخرين، ويهتم بالنصيحة، ويفهم الناس من خلال التعامل مع كل الناس، ويشعر أنه يستطيع دائماً أن يتعلم من الناس الآخرين، ويعرف نفسه جيداً، ومفكر، وواضح، ومستمع جيد ولا يخاف من الاعتراف بالخطأ، ويرغب فى تصحيح الأخطاء، ويتعلم، ويستمر، ويستمع لكل جوانب الموضوع.

٣-يتعلم من الأفكار والبيئة:

يعطى أهمية للأفكار، وفاهم (مدرك) يتعلم من أخطاء الآخرين.

٤-الحكم *Judgment*

يعمل داخل حدوده المادية والعقلية، وحساس، ويستطيع إعطاء حكم جيد فى كل الأوقات، ويفكر قبل أن يتصرف أو يتخذ قرارات، وقادر على الإحاطة بوجهات النظر البعيدة (فى مقابل الاهتمام فقط بالنتائج القريبة) ويفكر قبل أن يتكلم، ومفكر واضح.

٥-مستخدم ناشط (سريع) للمعلومات:

ذو خبرة، ويبحث عن المعلومات وخصوصاً التفاصيل، وناضج وذو خبرة طويلة، ويتعلم ويتذكر ويكتسب المعلومات من الأخطاء أو النجاحات السابقة، ويغير رأيه على أساس الخبرة.

٦-حدة الذهن:

لديه حدس، ويستطيع أن يقدم حلولا فى جانب الحقيقة والصواب، ويستطيع الرؤية من خلال الأشياء، ويقرأ ما بين السطور ولديه القدرة على فهم بيئته وتفسيرها. ***(Robert J. Sternberg, 1990 B, pp. 144- 146).***

وقد حدد "هولبداى وكندلر" فى دراسة فى سنة (١٩٨٦) الخصائص المرتبطة بالحكمة، كما تتضح لدى الناس الحكماء والسلوك الحكيم، فى عنصرين:

١- الفهم الاستثنائى . ***exceptional understanding***

٢- القدرة على نقل المعرفة والحكم الملائم للآخرين:

ويتضمن العنصر الأول الأبعاد التالية:

يستخدم الفطرة السليمة (بمعنى الحكم على الأشياء بصورة صائبة وسليمة) ويتعلم من الخبرة، ويرى الأشياء داخل إطار أكبر، وملاحظ، ومدرك، ويفهم نفسه، ويرى جوهر الموقف، ومتفتح العقل، ومتأمل.

ويتضمن العنصر الثانى "مهارات الحكم والاتصال" الأبعاد التالية: يعرف *Aware*، ومصدر

للنصيحة الجيدة، وفاهم، وجدير بالاستماع إليه، ويحترم كل الآراء فى الموقف، ويفكر جيداً قبل أن يقرر، ويرى ويضع فى اعتباره كل وجهات النظر.

(Michael. J. Chandler, Stephen Holliday, 1990, p. 138).

ويرى "بول ب. بالتس" و"أورسولا م. ستودنجر" أن النتائج التى حصلوا عليها عن المفاهيم الضمنية للحكمة وللناس الحكماء مكنتهم من صياغة خمس نتائج عن مفهوم الحكمة هى كما يلى:

١- الحكمة مفهوم يحمل معنى محدداً ينتشر بصورة واسعة وهو مفهوم فى ممثلاته المعتمدة على اللغة. ومثال ذلك أن الحكمة تتميز بوضوح عن أى مفاهيم نفسية أخرى ترتبط بها مثل الذكاء الاجتماعى أو النضج أو الإبداع.

٢- ينظر إلى الحكمة بوصفها مستوىً استثنائياً من الفعالية الإنسانية، وهى ترتبط بأعلى مستويات النمو الإنسانى وغاياته.

٣- تحدد الحكمة حالة العقل والسلوك المشتملة على تفاعل متسق ومتوازن، بين الجوانب العقلية والوجدانية والدافعية فى الشخصية الإنسانية.

٤- ينظر إلى الحكمة بوصفها صفةً ترتبط بدرجة عالية من الكفاءة الشخصية وبين- الشخصية التى تتضمن قدرة على الاستماع- والتقويم، وإعطاء النصيحة.

٥- تتضمن الحكمة المقاصد الحسنة، وتسخر من أجل رفاهية الفرد والآخرين.

ويضيف الباحثان أنه فى حالات كثيرة، ومثلما هى الحال بالنسبة لكثير من إنجازات النمو الإنسانى فمثل هذه السمات النفسية الشعبية والضمنية للحكمة تكون بصورة أساسية نتيجة للتاريخ الثقافى وأثره على المجتمع، ويؤكد ذلك القول "الذاكرة الثقافية هى أم الحكمة".

(Paul B. Paltes, Ursula M. Staudinger, 2000, p. 123).

وقد وجدت "أنيتا منتجمرى" و"كلفتون باربر" و"باتريك مكى".

Anita montgomery, et. al., (2002).

أن الحكمة كما مرت بخبرة المشاركين فى البحث تشتمل على عناصر جوهرية من الإرشاد، والخبرة، والمبادئ الأخلاقية، والزمن، والعلاقات الاجتماعية الرحيمة.

(Anita Montgomery, et. al., 2002, p. 143).

٤-الدراسات السابقة للنظريات الضمنية للحكمة:

أظهرت الدراسات المبكرة "كلايتون" و"بيرن" *Clayton & Birren* فى (١٩٨٠) و"ستيرنبرج" فى (١٩٨٥)، "وهوليداى وكندلر" فى (١٩٨٦) وغيرهم، كيف تفهم الحكمة فى لغة الحياة اليومية، حيث وجدا أن مفاهيم الحكمة وخصائص وسمات من يسمون بالحكماء من الناس مطمورة، بقوة فى لغة الحياة اليومية، وعندما يسأل الناس عن طبيعة النمو مدى الحياة، يشيرون إلى الحكمة كهدف فى الحياة المتأخرة.

ففى دراسة "كلايتون و"بيرن" فى سنة (١٩٨٠) استخدما مقياساً متعدد الأبعاد لأزواج من الكلمات التى من الممكن أن ترتبط بالحكمة وطبقت الدراسة على ثلاث مجموعات من الراشدين، من أعمار مختلفة. وقد استخدم الباحثان فى دراستهما الأولى فى (١٩٧٥) كلمات مفردة (مثل ذو خبرة، نفعى، فاهم، يعرف). وكانا يطلبان من المفحوصين أن يقدروا التشابهات بين كل زوج من الكلمات. والتشابه الرئيس فى نتائج مجموعات السن المختلفة أظهر بعدين متسقين للحكمة أرجعهما الباحثان إلى البعد الوجدانى ***affective*** وبعد التأمل ***reflective***. وقد كان الاختلاف الأوضح بين مجموعات السن، أن الممثلات العقلية للحكمة تصبح أكثر تمييزاً مع زيادة سن المفحوصين ***(Robert J. Sternberg, 1990 B, p. 142)***.

وفى سلسلة من الدراسات قام بها "روبرت ج. ستيرنبرج" فى سنة (١٩٨٦) حاول أن يفهم منها النظريات الضمنية للناس عن الحكمة وعلاقتها بالذكاء والإبداع.

فى الدراسة الاستطلاعية:

قدم قوائم لسلوكيات مختلفة لمجموعة عددها (٢٤) أربعة وعشرين من أساتذة الفن، والتجارة، والفلسفة، والفيزياء وطلب منهم أن يقوموا بجدولة السلوكيات التى يعتقدون أنها مميزة لكل من الحكيم والذكى والمبدع، وقد تم الحصول على حوالى مائة (١٠٠) سلوك فى كل مجموعة.

فى الدراسة الرئيسية الأولى:

طلب من (٢٠٠) مائتي أستاذ فى كل من الفن، والتجارة، والفلسفة والفيزياء أن يقدروا مدى اتفاق السلوكيات والخصائص التى تم الحصول عليها من الدراسة السابقة، مع مفهومهم المثالى لكل من الحكيم والذكى والمبدع. وكانت تعطى درجة واحدة لتعنى أن السلوك غير مميز بالمرة، وتعطى الدرجة تسع درجات (٩) عندما يكون السلوك مميزاً جداً. وقد حصل الباحث على متوسطات عالية لكل من السلوكيات الخاصة بالحكيم والذكى والمبدع، وكذلك على معاملات ارتباط بين الأبعاد للتقديرات الثلاث، فيما عدا الارتباط السلبى بين الحكمة والإبداع عند أساتذة التجارة.

فى دراسة أخرى طلب الباحث من عينة عددها (٤٠) أربعون من طلبة الجامعة أن يصنفوا عدد (٤٠) أربعين سلوكاً إلى ثلاث مجموعات، كما تتفق مع الحكمة والذكاء والإبداع. وهذه السلوكيات الأربعون هى التى حصلت على أعلى التقديرات فى الدراسة السابقة.

وبالنسبة للحكمة ظهرت ستة عناصر هى: القدرة على الاستدلال، والحصافة، والحكم، الاستخدام النشط (السريع) للمعلومات، وحدة الذهن، والتعلم من الأفكار والبيئة.

وقد كانت النتائج متسقة مع نتائج الدراسة الأولى كان الارتباط بين الحكمة والذكاء هو الأقوى، وبين الحكمة والإبداع هو الأقل. فمثلا فى كل من الحكمة والذكاء كان العنصر الأول مماثلاً تماماً وهو الاستدلال والقدرة العملية على حل المشكلات. ويرى "ستيرنبرج" أن نتائج هذه الدراسات التى

نفذها تفترض أن لدى الناس نماذج أولية مخزنة فى رءوسهم عن الذكاء والإبداع والحكمة، وأن هذه النماذج متسقة داخلياً ومرتبطة خارجياً بأدوات قياس نفسية مناسبة. *(Robert J. Sternberg, 1990 B, pp. 144-146).*

وقد نفذ "هوليداى" و"كندلر" فى سنة (١٩٨٦) سلسلة من الدراسات المنفصلة على جوالى (٥٠٠) خمسمائة مفحوص لجمع اللغة المشتركة التى تصف من يسمون بالحكماء من الناس وتحليلها لتقدير كيفية تأثير هذه المفاهيم فى مجهودات حل المشكلات.

وقد قدم الباحثان فى أول دراسة من هذه السلسلة إلى (١٥٠) مائة وخمسين فرداً ممثلين ثلاث مجموعات عمريه (رشد مبكر ومتوسط و متأخر وأفراد أكبر سنا) قوائم متعددة وطلب منهم أن يختاروا الصفات أو الخصائص التى تصف الأشخاص الحكماء والأذكياء والفاهمين، والروحانيين.

وقد أظهرت نتائج الدراسات المختلفة أن المفحوصين يفكرون فى الحكمة كسمة محددة جيداً متعددة الأبعاد منظمة بطريقة نمطية. ومكوناتها الأساسية خمسة عوامل هى:

الفهم الاستثنائى الذى يرتكز على أبعاد مثل "التعلم من الخبرة" "ورؤية الأشياء فى السياق الأكبر". والعامل الثانى مهارات الحكم والاتصال وأبعاده "مصدر جيد للنصيحة"، و"يفهم الحياة". والعامل الثالث الكفاءة العامة وأبعاده مثل "ذكى ومتعلم" والعامل الرابع لديه مهارات بين شخصية وأبعاده مثل "حساس واجتماعى" . والعامل الخامس عدم التطفل الاجتماعى وأبعاده مثل "متميز". ويرى الباحثان أن الأجيال الثلاثة التى تم تنفيذ الدراسات عليها أظهروا مفهوما متسقا منظما بطريقة نمطية أولية لمن نصفه بأنه حكيم وهو مفهوم معقد متعدد الأوجه.

وقد أجرى الباحثان تحليلات متعددة لمعرفة مدى تشابه مؤشرات الحكمة مع مؤشرات مفاهيم أخرى مثل الذكى، والروحانى، والمدرك (الفاهم) والداهية.

وقد أوضحت النتائج أن هذه الأوصاف تختلف بدرجة كافية عن الحكمة، فقد ميز المفحوصون بوضوح الحكماء عن غيرهم ممن يتصفون بهذه الصفات البسيطة كالذكى أو الداهية أو الروحانى. *(Michael J. Chandler, Stephen Holliday, 1990, pp. 136- 138).*

وقد قامت "سواركا" ***Sowarka*** فى (١٩٨٧، ١٩٨٩) بتحليل مقابلات مع الراشدين الكبار عن الحكمة والأشخاص الحكماء، جمعتها جونسون ***Johnson*** فى (١٩٨٢). وقد تم تحليل صفات الحكمة والمهام التى أشير إلى أنها تتطلب الحكمة، والصفات التى تم إدراكها بصفتها خصائص للأشخاص الحكماء. ويشير "بول ب. بالتس" و"جاكى سميث" إلى أن الجانب المهم فى هذه الدراسة هو إشارة سواركا إلى أن تحليلها للبيانات أظهر أن كبار السن يرون أن الأشخاص الحكماء لديهم شخصية ممتازة.

وقد درس "هكهوسن" ***Heckhausen*** فى (١٩٨٩) وجهات نظر الراشدين عن طبيعة النمو

والتقدم فى العمر. وقد قدم للمفحوصين أكثر من(٣٠٠) ثلاثمائة صفة نفسية تغطى مدى واسعا من خصائص الشخصية والذكاء قد صنفت فى أبعاد، وسأل المفحوصين عن أى هذه الصفات من المتوقع أن تتغير مع السن؟ وذلك أثناء العقود من سن العشرين إلى سن التسعين، بالإضافة إلى ذلك أشار المفحوصون إلى التوقيت ودرجة الرغبة فى التغيير المتوقع.

وقد أظهرت النتائج أن المفحوصين يرون أن الصفات التى تميل إلى التغير فى الرشد المبكر يكون مرغوباً فيها بدرجة أعلى من الصفات، التى من المتوقع أن تبدأ فى التغير فى الرشد المتأخر ومن المجموعة الكلية للخصائص التى تتغير مع التقدم فى العمر كانت هناك صفتان مرغوب فيهما فقط هما الحكمة والتبجيل (الاحترام).

وقد أعتقد المفحوصون فى هذه الدراسة أن الحكمة تبدأ فى التطور وتصبح أقوى بعد سن الخامسة والخمسين من العمر، ومن المتوقع أن تستمر فى النمو حتى العقد التاسع (السن المتوسط يقترب من الخامسة والثمانين). وقد كان المدى النمائى لسمة الاحترام مماثلاً للحكمة. ويرى الباحثان أن هذه النتائج تتفق مع ما هو مستقر فى التراث عن الحكمة كظاهرة إيجابية ترتبط بالحياة المتأخرة. (دراسة سواركا وهكهوسن فى ***(Paul B. Baltes, Jaqui Smith, 1990, pp. 107, 108***

وفى عدد من الدراسات قام بها "بيرلموتر وآخرون" ***Perlmutter et al.*** فى (١٩٩٠) سأل فيها راشدين تتراوح أعمارهم بين (٢٠ – ٩٠) عشرين وتسعين سنة عما إذا كانت الحكمة ترتبط بالسن، والجنس والتعليم. وقد أوضحت النتائج أن (٨٧%) من المفحوصين يعتقدون أن الحكمة ترتبط بالسن، و (١٦%) يعتقدون أنها ترتبط بالجنس، و (٦٨%) يعتقدون أنها ترتبط بالتعليم.

وفى دراسة أخرى طلب من المفحوصين أن يحددوا ثلاثة من أحكم الناس الذين يعرفونهم ويحددون عمر كل منهم وجنسه وتعليمه. وقد أشارت النتائج إلى أن عمر من وصفهم المفحوصون بأنهم حكماء يمتد من ٥٠ (خمسين) إلى ٦٥ (خمس وستين) سنة. وقد اختلف مدى السن، عندما سئل المفحوصون أن يقدروا مدى ما يتمتعون به من حكمة، أشارت النتائج إلى أن تقديرات المفحوصين تشير إلى زيادة الحكمة حتى سن (٤٠) أربعين سنة ثم تميل إلى التناقص بعد ذلك. ويفسر الباحثون هذه النتيجة بأن اعتراف المفحوصين بمحدودية ما يمتلكون من حكمة، هو فى ذاته دليل على كونهم حكماء.

وبالرغم من أن قلة من المفحوصين (١٦%) هم من أشاروا إلى ارتباط الحكمة بالجنس، إلا أنه اتضح من هذه الدراسة أن ٧٥% ممن وصفوا بأنهم حكماء، كانوا من الرجال، وكان الرجال أميل إلى اختيار الرجال أكثر من النساء كحكماء.

وعن علاقة التعليم بالحكمة أشارت النتائج إلى أن الناس الأعلى تعليما هم الأكثر احتمالاً أن يتمتعوا بالحكمة أكثر من الأقل تعليماً. وقد أشار عدد ممن وصفوا بأنهم حكماء، وهم لديهم مستوى

منخفض من التعليم إلى أن التعليم ليس ضروريا للحكمة. لكن لم ير أى مفحوص أن التعليم كاف لتحقيق الحكمة للشخص، وتعقيباً على نتائج دراساتهم والدراسات الأخرى يرى "أورول" و"بيرلموتر" *Orwoll, Perlmutter* أن الحكمة تتطلب جانبين متكاملين الأول نمو استثنائى للشخصية يتضح فى نمو الذات، وإعلاء الذات؛ حيث يمكن بناء الشخصية الحكيم من السمو بحاجاته وأفكاره ومشاعره الشخصية، والجانب الآخر معرفى؛ حيث لابد أن يتمتع الحكيم بفاعلية معرفية استثنائية، فلا يكفى الذكاء وحده للمرء حتى يكون حكيما بل لابد من دمج العوامل المعرفية مع العوامل الشخصية فى نمو الحكمة. *(Lucinda Orwoll, Marion Perlmutter, 1990, 160- 175).*

وقد أجرى "مونتجمرى" و"باربر" و"مكى" (٢٠٠٢) دراسة بالمنهج الفينومنولوجى على ستة مفحوصين تتراوح أعمارهم بين (٦٠) ستين و (٨٨) وثمان وثمانين سنة بطريقة المقابلة الفردية حيث سألوهم عن المواقف التى اتخذوا فيها قرارات حكيمة وصفات الناس الحكماء الذين عرفوهم فى حياتهم، وقد أشارت نتائجهم إلى أن الحكمة تشتمل على عناصر جوهرية من الإرشاد، والخبرة، والمبادئ الأخلاقية والزمن، والعلاقات الاجتماعية الودية.

(Anita Montgomery, et. al., 2002, pp. 143- 154).

تعليق على الإطار النظرى والدراسات السابقة:

يتضح لنا من العرض السابق للنظريات الضمنية، والدراسات القائمة عليها أن الحكمة وإن كانت مصطلحاً معقداً وغامضاً، إلا أن الناس فى المجتمعات الغربية التى أجريت عليها الدراسات، لديهم صورة واضحة عن الحكمة، والشخص الحكيم، والمواقف التى تبدو فيها الحكمة.

ويربط الناس بين الحكمة والأشخاص الحاملين لها. أما خصائص الشخص الحكيم وسماته، فهى كما يرى "روبرت ج ستيرنبرج" *(١٩٩٠B)* معظمها عقلية؛ كالقدرة على الاستدلال والحصافة والحكم والاستخدام النشط للمعلومات وحدة الذهن.

ويقصر "هوليداى و "كندلر" (١٩٩٠) الحكمة على عنصرين هما: الفهم الاستثنائى ومهارات الحكم والإتصال، ويتضمن العنصر الأول: الصفات العقلية كالحكم والتعلم من الخبرة والإدراك والفهم وتفتح العقل. ويتضمن العنصر الثانى: تصدير النصيحة للآخرين وجدارة الاستماع إليه، والتفكير الجيد قبل أن يقرر، والأخذ بكل وجهات النظر.

ويرى "بول بالتس" و "أوروسولا م. ستودنجر" (٢٠٠٠) أن الحكمة تعد مستوى استثنائياً من الفعالية الشخصية، وهى ترتبط بأعلى مستويات النمو الإنسانى وغاياته التى يتحقق فيها تفاعل متسق ومتوازن بين الجوانب العقلية والوجدانية والدافعية فى الشخصية الإنسانية.

والحكمة عند "كلايتون و "تيرن" (١٩٩٠) كما اتضحت من دراستهما تتمثل فى بعدين، هما: بعد وجدانى، وبعد تأملى.

والأشخاص الحكماء لديهم شخصية ممتازة، كما توصلت إلى ذلك "سواركا" من دراساتها. والحكمة والاحترام صفتان مرغوب فيهما، ومن الصفات التى تتغير مع التقدم فى العمر، كما وجد "فكهوسن".

والحكمة ترتبط بالسن كما رأى (٨٧%) من مفحوصى دراسة "بيرل موتر" وآخرين (١٩٩٠) لكنها لا ترتبط بالجنس بقوة و (١٦%) فقط يرون أنها ترتبط بالجنس، بالرغم من أن (٧٥%) ممن وصفوا بأنهم حكماء فى الدراسة نفسها كانوا من الرجال، وكان الرجال أميل إلى اختيار الرجال كحكماء أكثر من النساء. أما عن التعليم فبالرغم من أن النتائج أشارت إلى أن الأعلى تعليماً من الأكثر احتمالاً أن يوصفوا بالحكمة، فقد أشار ممن وصفوا بالحكمة، ولديهم مستوى منخفض من التعليم، أن التعليم ليس ضرورياً للحكمة.

والحكمة عند "مونتجمرى" و "باربر" و "مكى" (٢٠٠٢) تشتمل على عناصر جوهرية من الإرشاد والخبرة، والمبادئ الأخلاقية والزمن، والعلاقات الاجتماعية الودية.

ثانياً: الاتجاه الفينومنولوجى:

١-نشأته وتعريفه:

يرجع هذا الاتجاه إلى "أدموند هوسيرل" ***Edmund Husserl*** الفيلسوف الألمانى الذى انتقد اعتماد علم النفس فى دراسته للظواهر النفسية على المنهج التجريبى المستخدم فى العلوم الطبيعية؛ لأن الظاهرة الإنسانية فى نظره ليست قطاعا فى الطبيعة الفيزيائية، والذات الإنسانية لا تتكفل بتفسيرها قوانين الأشياء وروابطها العلمية. وقد أدى هذا المنهج إلى جعل علم النفس عاجزاً عن تحليل الحياة الواعية التى تشتق منها الملاحظات والتجارب، ومع اقتناع معظم السيكولوجيين بأن المعرفة السيكولوجية مصدرها الخبرة، ومنذ حوالى سنة ١٩٠٠م، وبوصفه فيلسوفاً وسيكولوجياً يكافح من أجل طريقة علمية دقيقة ولّد علم جديد ونشأت طريقة جديدة للتساؤل الفلسفى والسيكولوجى وقد سمى هذا العلم بالظاهراتى ***Phenomenological.*** ويتميز علم النفس الفينومنولوجى كما يراه هوسرل "بأنه علم أولى وماهوى ***eidetic***، وحدسى، ووصفى، وقصدى للظاهرة النفسية بوصفها باقية كلية داخل الاتجاه الطبيعى". ***(Joseph J. Kockelmans, 1987, p. 22).***

٢-أهداف التحليل الفينومولوجى:

يهتم علم النفس الظاهراتى بجوهر الظاهرة النفسية وليس بالحقائق ذاتها. ويهدف إلى إلقاء الضوء على التفاصيل لتحديد الظاهرة من منظور الذين يعيشونها فى الموقف، ودراسة الخبرة من منظور الفرد، وتقويم الخبرة الذاتية، وفهم الظاهرة ***Phenomenon*** كما يعيشها الأشخاص، ولذلك على الباحث هنا أن يحجم عن فرض أية افتراضات أو نظريات يمكن أن تؤدى إلى اضطراب أو إخفاء خبرة الشخص التى يقوم بوصفها.

والبحث الفينومنولوجي الخالص يهدف بالضرورة إلى الوصف أكثر من التفسير، والبدء بمنظور متحرر من الفروض أو المفاهيم القبلية. وهذه الطريقة فعالة في إعطاء الأولوية لخبرات الأفراد وإدراكاتهم من منظورهم الخاص، وتؤكد على ضرورة اعتماد التفسيرات والمعاني على البيانات. *(Stan Lester, 1999).*

ورغم أن الخبرات الإنسانية لها صفة الذاتية، إلا أنها من حيث المبدأ يمكن أن توصف كخبرة متقنة وذلك بواسطة الآخرين الذين كانت لهم الخبرة نفسها، وربما يمكن نقلها لهؤلاء الذين لا يمتلكونها.

وتمكن الطرق الكيفية المختلفة الباحث الظاهراتي من جمع معرفة عميقة وإدراكات شخصية ذاتية من المفحوصين وذلك من خلال المقابلات، والمناقشات، والملاحظة بالمشاركة وغيرها.

٣-اختلاف الدراسة الفينومنولوجية عن الدراسة الإمبريقية:

تختلف أهداف الدارسة الفينومنولوجية عن جمع المعرفة الإمبريقية. فالنتائج الظاهراتية لا يمكن ملاحظتها إمبريقيا، وليست ظاهرة قابلة للتكرار يمكن قياسها وتقويمها بواسطة العامة، وإعادة دراستها بواسطة أي فاحص آخر أو مقارنة نتائجها بالطريقة نفسها التي تقارن بها نتائج الدراسات الإمبريقية.

وهذا يعني أن أي قياس ظاهراتي لا يؤكد إمبريقيا قياساً آخر. وعندما تشتمل الدراسة على عدة مفحوصين فالهدف من ذلك هو مزيد من التنقية في التعبير عن الخبرة المدروسة، وعندما ننتقل من وصف شخص للخبرة إلى وصف شخص آخر للخبرة نفسها سيزيد منظور مختلف عن الخبرة أو استخدام مختلف لكلمة في وصفها من الإفصاح عن الخبرة ويضيف الدقة لإدراكنا لجوهرها.

ولابد هنا من الفهم الحدسي للباحث حتى يستطيع التثبت مما هو صواب وما هو غير متقن من أجزاء الخبرة.

ويسهم البحث الظاهراتي في تنقية المفاهيم والتحديدات والإتجاهات التي تشكل البحث الإمبريقي، وإذا كان هناك جدل دائم بين المفاهيم السابقة والتساؤل الإمبريقي فالتساؤل الظاهراتي ينتمي إلى الجانب الأول من هذا الجدل.

(Anita Montgomery, et. al., p. 141).

وإذا كان هناك في الاتجاه الظاهراتي مبدأ عام فهو بناء أقل وعمق أكثر، والاحتفاظ بتوازن بين التركيز على نتائج البحث وتجنب التأثير غير المناسب بواسطة الباحث. وبناء مستوى جيد من العلاقة والود حاسم في كسب العمق في المعلومات. *(Stan Lester, 1999).*

ثالثاً: الإجراءات المنهجية

١-الدراسة الحالية: الأهمية والهدف

تتمثل أهمية الدراسة الحالية فى عدة نقاط:

فهى تبحث سمة نفسية تعد من أعز السمات الإنسانية، وتوصف بأنها تميز الأداء على مستوى القمة. وفى حدود علم الباحثة، لا توجد دراسات نفسية أجريت عن الحكمة، وهذا يزيد من أهمية البحث.

هذا بالإضافة إلى أن السيكولوجيين الذين درسوا الحكمة طبقا للنظريات الضمنية، يذكرون أنها بطبيعتها لها حدود؛ فهى تطبق على مجموعة من المفحوصين، فى زمان ومكان محدد.

ولذلك فمن الطبيعى أن تختلف النظريات الضمنية، حتى عبر المجموعات، فى وقت ومكان معين، ومن الطبيعى أن تختلف النظريات الضمنية للأبنية النفسية بصورة جوهرية عبر الثقافات، ويمكن أن تختلف أيضاً عبر مستويات العمر. فما يعد صحيحاً بطريقة آلية فى زمان أو مكان ما، يمكن أن يعد خطأ فى وقت ومكان آخر؛ وذلك بسبب وجود جدل مستمر، يضع حدوداً على أى نوع من الصواب المطلق، ومع ذلك يبحث الناس الحكماء عن الصدق والحقيقة إلى المدى المسموح به ويقيمون المعلومات ليفهمون كيف ترتبط بالحقيقة. *(Robert J. Sternberg, 1990 B, p. 157).*

هل تشير هذه الملاحظات إلى احتمال اختلاف صفات من يوصفون بأنهم حكماء وخصائصهم فى البيئة العربية، وكذلك المواقف التى تتطلب قرارات حكيمة، عما حصلت عليه الدراسات المذكورة سابقاً من نتائج؛ لابد أن يعد هذا أيضاً مبرراً لإجراء الدراسة الحالية، وسؤالاً تهدف الدراسة إلى الإجابة عنه.

عينة الدراسة:

أجريت الدراسة الحالية على خمسة من الراشدين الكبار، كلهم من الذكور وتتراوح أعمارهم بين (٦٠- ٦٥) ستين إلى خمس وستين سنة، وثلاثة منهم حاصلون على الدكتوراه (١ فلسفة، ٢ تاريخ إسلامى) والرابع طبيب، والخامس رجل أعمال (صاحب ومدير مطبعة) وقد تم اختيار المشاركين فى الدراسة بمراعاة أعتبارين مهمين، هما:

أولاً: أن كل مفحوص لديه خلفية من الخبرة، أو من نشاط مهنى يعد من ميسرات الحكمة، مثل التدريس، أو العمل فى مراكز المسئولية فى المدينة. وتلك الخلفية الميسرة للحكمة تزيد من احتمالية مرور الأفراد بخبرة الحكمة.

ثانياً: التعرض لمثل هذه الخلفية تتضح أهميته عند كبار السن أكثر؛ فكبار السن الذين يتعرضون للخبرات الميسرة للحكمة يكونون أكثر احتمالاً؛ لأن يمروا بخبرة الحكمة أكثر من الأشخاص الأصغر، الذين لديهم الخبرة نفسها. *(Anita Montgomery, et. al., 2002,p. 142)*

منهج الدراسة:

قامت الباحثة بمقابلة أفراد العينة، كل على حدة وأوضحت لهم طبيعة البحث، وأكدت لهم سرية المعلومات التى سيدلون بها، وتركت لهم حرية الموافقة على الاشتراك فى البحث. وقد رفض بعض الأفراد الذين عرضت عليهم الباحثة الاشتراك فى البحث، أما أفراد العينة الحالية، فقد رحبوا بالاشتراك فى الدراسة.

وكانت المقابلة تتم بطريقة فردية، مع كل مفحوص فى المكان الأكثر ملاءمة وراحة له، وتم التركيز بصورة أساسية على إجابات المفحوص عن الأسئلة الآتية:

١- هل يمكن أن تصف لى الأوقات التى تعتقد انك كنت فيها حكيماً، أو اتخذت فيها قرارات حكيمة؟

٢- هل يمكن أن تصف لى شخصاً حكيما عرفته فى حياتك؟

وكانت الباحثة تساعد المفحوص على التعبير عن خبراته، وتحاول أن تفهم هذه الخبرات من وجهة نظر المفحوص الخاصة.

كذلك كانت الباحثة تشجع المفحوصين على تحديد الجوانب البارزة من خبرتهم فى اتخاذ القرارات الحكيمة، أو التى جعلت منهم أشخاصاً حكماء.

وحتى تساعد الباحثة على استمرار بناء المقابلة ونموها كانت توجه بعض الأسئلة والمثيرات للمفحوص، ليستمر فى الحديث ولتزداد الباحثة معرفة بخبرته الذاتية عن الحكمة، ومن أمثلة هذه الأسئلة:

- هل هناك أشياء أو صفات، أو ميسرات تساعد المرء على أن يتخذ قرارات حكيمة؟
- هل يمكن تعلم الحكمة؟.
- هل هناك علاقة بين الحكمة والسن؟
- هل ترتبط الحكمة بالأخلاق؟
- هل هناك صفات أو جوانب ترتبط بنمو الحكمة؟

إلا أنه من الضرورى التأكيد على أن هذه الأسئلة لا تفرض عنوة على بناء المقابلة، ولكن سير المقابلة يقود إليها، فتعرض فى موضعها، لمزيد من الإيضاح، لما عرضه المفحوص فى معرض حديثه واستجابته، من أفكار.

وقد قامت الباحثة بتصوير المفحوصين، وتسجيل حديثهم، وكذلك تسجيله كتابة.

تحليل البيانات:

- قامت الباحثة بقراءة كل نسخة مسجلة للمقابلة، لكل مفحوص ببطء، وباتجاه متفتح، وبقدر كبير من التأمل، والإحساس. بما تعبر عنه العبارات.

- قامت الباحثة بتحديد العناصر المفاتيح التى استخدمتها فى استنطاق نصوص المقابلات وأعطت رموزاً لهذه العناصر، وصنفت محتوى كل مقابلة، طبقاً لهذه العناصر، ثم قامت بتفريغ أبعاد كل مقابلة، طبقا للعناصر الموضوعة. ومن أمثلة هذه العناصر: المواقف التى تبدو فيها الحكمة، وصفات الحكيم الاجتماعية والانفعالية، والصفات المعرفية للحكيم، ومهارات الاتصال والحكم، وعلاقة الحكمة بالسن، وبالمبادئ الأخلاقية. وقد اشترك مقدر آخر مع الباحثة فى تفريغ البيانات وكانت نسبة الاتفاق بين المقدرين ٩٨%.

رابعاً: نتائج الدراسة ومناقشتها

أولا-نتائج الدراسة:

أظهر تحليل النتائج أن الخبرة كما مرت بخبرة المفحوصين، تشتمل على عناصر جوهرية هى:

١-أن للحكيم صفات (اجتماعية وانفعالية ومعرفية).

٢-ويتميز بقدر من مهارات الاتصال والحكم.

٣-وهناك مواقف تبدو فيها الحكمة؛ مثل (حل المشكلات- التوجيه والإرشاد- المواقف الصعبة).

٤-وهناك ميسرات الحكمة (السن، والتدين، والمبادئ الأخلاقية).

وفيما يلى عرض لهذه العناصر:

١-صفات الشخص الحكيم:

عندما سئل المفحوصون عن صفات الأشخاص الحكماء الذين مروا بخبرتهم، تكررت فى إجاباتهم، العديد من الصفات يمكن تصنيفها إلى المجموعات التالية:

أ-الصفات المعرفية:

- كانت الخبرة من أكثر الصفات ذكراً لدى المفحوصين (الخبرات الواسعة، خبرات بالناس والعائلات والنفوس، والخبرة عنصر أساسى فى الحكمة، والتعرض للتجارب، وخبرة الحياة، والنجاحات والإنكسارات، والتعلم مما يحدث للآخرين، حتى لا يقع فى نفس أخطائهم.
- المعرفة أيضاً سمة أساسية للحكماء: (المعرفة بالحياة ومنافعها، معرفة ثرية بمن فى محيطة، والمعرفة الواسعة، والمعرفة نبع أساس للحكمة، وهو أعلى الموجودين معرفة).
- الفهم: يرى المفحوصون أن الحكيم يتميز بسرعة الفهم (لماح، ويفهم كل واحد فى الموقف، ويعطى كل واحد من الانتباه والاهتمام بقدر ما يتناسب معه) ومكتمل العقل والتفكير، ويتميز برجاحة العقل، ويخلو بنفسه ليفكر بعمق، والحكيم حذر، وفطن.
- الذاكرة القوية: لأنه لابد أن يتذكر بالماضى، ويأخذ منه العبرة ويتذكر وقائع تخص الأفراد والمجتمع، ويحفظ أمثالاً وأقوالاً حكيمة، يستشهد بها ، ويستخدمها فى الإقناع.

وكان الذكاء أقل الصفات ذكراً من المفحوصين (لابد من توافر قدر من الذكاء). وقد ذكر مرة واحدة. كذلك فالحكيم مرن وغير متزمت ولا يتعصب.

ب-الصفات الاجتماعية:

- العلاقات الاجتماعية أكثر الصفات ذكراً لان الانعزال عن المجتمع، فى رأى المفحوصين، لا يجعل الإنسان يعيش الحكمة، ولذلك لابد من العلاقات الاجتماعية المتسعة الرحيمة.

- العطاء: بقدر ما تتيح له إمكاناته؛ فالحكيم يتصف بالبذل والعطاء، وأساتذة المفحوصين (استذة زمان) كانوا مثالاً للحكمة فهم يعطون ولا يأخذون.

- الإيثارية: فما يقضيه من وقت فى حل المشكلات، والنصح والإرشاد، يطغى على احتياجاته الأساسية، والإيثار بالنقود أيضاً، وليس بالوقت فقط.

- يستحق الاحترام (مبجل ومحترم). -يحب الناس.

ج-الصفات الوجدانية:

عبر متهور، ولا ينفعل، و "راسى"، و "تقيل" (رزين) ولا يغضب.

د-صفات شخصية: الحكيم شخصيته قوية، وواثق بنفسه (لا يخاف من سخرية الآخرين، إذا حتم برأى لم يعجب أحداً) ويتحمل أعباء المناقشة، ومن يحسده على مكانته وأهل للثقة "كلمته زى الذهب"

هـ-فضائل خلقية الصمت، الصبر، الزهد.

و-مهارات الاتصال والحكم:

حسن الاستماع للناس، ويستمع بهدوء شديد، ويناقش جيداً المؤيدين والمعارضين، ويخزن المعلومات ويربط بين كل ما يسمعه ويأخذ بالشورى، ولا يقطع برأى، ويأخذ برأى كل من يمكنه الأخذ برأيه، ولبق، ومحايد، وقادر على التأثير فى الآخرين (يستنهض الخير فى قلوب الناس)، ويعطى النصيحة بالحوار وعند الحاجة إليها، وبدون فرض.

٣-المواقف التى تبدو فيها الحكمة:

مواقف النصح والتوجيه والإرشاد، وحل المشكلات، والمواقف الصعبة التى يتعرض فيها الإنسان للضغوط، ويكون عليه الاختيار بين بدائل، قد تبدو كلها مرغوباً فيها. وفى مواقف التوجيه والإرشاد دائماً، يوجه الحكيم ويرشد وينصح، ويعلم ما يجب وما لا يجب.

وقد يكون النصح فى مواقف عادية، وقد يكون فى مواقف حل المشكلات، تلك التى يمكن أن تكون أسرية أو خاصة بالعمل، أو بالمعارف أو بالأصدقاء. ومن أمثلة مواقف المشكلات الأسرية يذكر "م" ما يلى:

"عندما تأتى لى ابنتى الطبيبة المتزوجة طالبة الطلاق من زوجها؛ لأنها تشتبه فى أنه يخونها،

وعندما أحكم بينهما، مع اقتناعى أن احتمال خيانته يصل إلى ٨٠%، لكن مع ذلك انظر إلى الأسرة التى سينفرط عقدها، وأحفادى الذين سيعانون وفى الوقت الذى أقدر فيه اعتزاز ابنتى بكرامتها. أحكم فى صالح استمرار الأسرة ومصلحة أحفادى" ويضيف "م" أنه يرى ذلك موقفاً حكيماً.

أما "د" فمن المواقف التى يرى أنه اتخذ فيها قراراً حكيماً يقول: "كنت أنتمى إلى حزب سياسى معارض أشارك فى اجتماعاته وأكتب فى جريدته، وأتبنى آراءه ومنظوره، ولكن عندما كبر أبنائى واقتربوا من التخرج، والتعيين فى وظائف مرموقة ، خشيت من أن سلوكى السياسى قد يؤثر على مستقبل أولادى، فآثرت الانسحاب من الحزب، وتوقفت عن مشاركتى فى اجتماعاته، وألغيت عضويتى فيه".

ويضيف أنه يرى أن هذا القرار عندما اتخذه كان قراراً حكيماً؛ لأنه تنازل عما يميل إليه من مشاركة سياسية فى حزب، من أجل مصلحة أبنائه.

ويذكر "ح" مثالاً لموقف صعب اتخذ فيه قراراً حكيماً خاصاً بعمله يقول:

"كنت أعمل فى مدينة قريبة جداً من محل نشأتى وإقامتى مع أسرتى، ولكنى فى نفس الوقت كانت لى ثلة من الأصدقاء لا أرض عن سلوكياتهم، ولا أستطيع الانفصال عنهم، لأنهم يرفضون بعدى عنهم، فأنا مجبر على صداقتهم، فاتخذت قراراً بالانتقال إلى مكان عمل بعيد عن أسرتى فى مدينة أخرى حتى أتخلص من ارتباطى بأصدقائى، ووفقنى الله فى حياتى ونجح عملى".

ويذكر "س" أنه كان يعمل فى مركز مرموق وأتيحت له فرصة الانتقال إلى الجامعة، كعضو هيئة تدريس بها، وكان عليه أن يتخذ قراراً لتغيير مسار حياته المهنية؛ رغبة فى الدخل الأعلى والمكانة، وكان انتقاله إلى الجامعة لن يكون فى نفس مكان إقامته، ومع ذلك فقد اتخذ القرار، وانتقل إلى الجامعة، وهو يرى الآن أن هذا القرار كان حكيماً، ولو أنه لم يتخذه، لكان قد ندم.

٤-ميسرات الحكمة

ينظر المفحوصون إلى بعض الأبعاد كالسن، والتدين، والتمسك بالمبادئ الأخلاقية كميسرات للحكمة واتخاذ القرارات الحكيمة؛ فهم يرون أن:

الحكمة صفة يمكن ملاحظتها عند كبار السن، خاصة بعد سن الأربعين، وحتى سن الستين وما بعده، وقد تتحدر بعد سن السبعين، والحكمة تزداد كلما تقدم الإنسان فى السن وهى تظهر أكثر فى السن المتقدم، ولكنها لا تظهر عند كل الكبار، فليس كل الكبار حكماء، ويمكن مع ذلك أن يوجد شاب حكيم.

يذكر "د" أنه وهو فى سن السادسة والعشرين، كان له صديق فى سنة، كانت سلوكياته كلها تشير إلى حكمته، فيو ينصرف سريعاً من أى موقف مخجل، وكان عاقلاً، ممتازاً، متفوقاً". ويذكر "ع" أنه كان يعرف شاباً صغيراً، يتصف بكثير من صفات الحكماء؛ فقد كان متديناً، صامتاً،

متفكراً، مخلصاً زاهداً". أما "م" فيؤكد أهمية التقدم فى العمر فى اتخاذ القرارات الحكيمة، ذاكراً دليلاً على ذلك مما يلى:

"الصداقة طبعاً لها مفهوم معين، وعندما يكون هناك شخص قريب منك، صديق عزيز تشترك معه فى كثير من مواقف وأوقات الحياة، تنتظر منه نوعاً من الدعم فى المواقف التى تحتاج فيها إلى هذا الدعم، لكن عندما تفاجأ بأنه فى هذا الموقف يتخذ موقفاً سلبياً، بعكس آخرين ربما لا يوجد بينى وبينهم حجم المودة التى بينى وبين صديقى، ومع ذلك يؤيدوننى ويدعموننى فى وقت حاجتى لهذا الدعم" ويضيف "م" "إننى لم أقطع علاقتى به ولم تتأثر صداقتى بصديقى هذا، ربما لو حدث هذا الموقف فى شبابى كنت انفعلت، وقطعت علاقتى به، كما فعل شاب وقف معه هذا الصديق نفس الموقف، فلم يقاطعه، فقط، بل قاطع القسم كله ولم يعد يتعامل مع أحد منه. أما أنا فأدركت أن تصرف صديقى هذا غير مقصود به التخلى عن مؤازرتى، ولكنها طبيعة شخصيته، ولا يستطيع أن يفعل غير ذلك، ولذلك فقد ظللت أعامله بطريقة عادية كما كنت أعامله من قبل، ويضيف "م" أنه يرى أن سلوكه هذا وإدراكه بطبيعة شخصية صديقه وعدم اتخاذه قراراً بمقاطعته، هو قرار حكيم.

ويرى "س" أن "السن مجموعة تجارب ومجموعة تصرفات كثيرة ومتنوعة فى أمور وجوانب عديدة، تتراكم من خلال العمل وتجاربه، ومع الخبرات المتراكمة يصبح الإنسان خبيراً، ومسألة الخبرة هذه قريبة من الحكمة، فلو تعرض إنسان لأى موقف يتخذ قراراً صالحاً فهو يوظف خبرته لخيره ولخير الآخرين".

ويرى "د" أن الزمن وتراكم الخبرات والمعرفة تزيد الحكمة. أما عن علاقة المبادئ الخلقية بالحكمة فيرى "د" أن الحكيم لابد أن يكون على خلق.

ويرى "س" أن فضيلة الصبر من الأخلاق الكريمة، والحكيم لابد أن يتحلى بالصبر، ولا يتعجل الأمور؛ لأنه لو تعجل لن يصل إلى قرار حكيم، ولا يجب أن يغضب؛ فالغضب مناقض للصبر وإذا غضب فسيتأثر حكمه، فلابد للحكيم أن يكون صبوراً ويتريث ولا يغضب.

أما عن التدين، فقد أشار المفحوصون جميعاً إلى العلاقة الوثيقة بين الحكمة والإيمان، يذكر "ع" أن الناس تربط بين التدين والحكمة، ويرون أن من يعرف الله على حق، أحق بأن يلجأ إليه الناس طالبين مشورته.

ويذكر "د" أن الدين مصدر أساسى للحكمة، والسنة النبوية الشريفة ولذلك فالحكيم لابد أن يكون متديناً، لان التدين يجعله يتقى الله فى كلمته، ويحكم بالعدل، وهذا من الحكمة.

كذلك رأى "ع" و "د" أن الناس أحياناً يعزون الحكمة لمن يتمتع بالثراء والقوة، ومن هم فى مركز السلطة ، فالسلطة والمكانة والثراء والقوة أحياناً ، تجعل الناس ينظرون إلى من يتمتع بها

بصفته حكيماً، ويلجأون إليه فى حل منازعاتهم، والتوافيق بينيم، كما يحدث فى القرى اللجوء إلى العمدة فى هذه الأمور، فإذا اثبت أنه حكيم فعلاً، واتخذ قراراً محايداً، ولم يجامل أحداً، ثبتت الناس له صفة الحكمة، وإذا لم يحدث فإنهم يسحبون منه صفة الحكمة.

ثانياً: تعليق على النتائج ومناقشتها

من العرض السابق لنتائج الدراسة، يتبين لنا أن أفراد عينة البحث لديهم صورة واضحة تماماً عن طبيعة الحكمة، وهم يرون الحكمة كصفات ترتبط بقوة بأشخاص يحملونها ويصفونهم هم بأنهم حكماء.

ويرون أن الحكيم يتصف بصفات معرفية وانفعالية واجتماعية، إلى جانب تمتعه بفضائل خلقية؛ كالصمت والصبر والزهد، وكذلك التدين، وتبدو الحكمة من خلال العلاقات الإجتماعية الواسعة؛ حيث يقوم الحكيم بالنصح والإرشاد، واتخاذ القرارات فى المواقف الصعبة، والتوفيق فى المنازعات وحل المشكلات. ويعد السن والزمن من ميسرات الحكمة فالتقدم فى السن يسمح بتراكم الخبرات والتعلم من التجارب، واتساع المعرفة التى تمكن الحكيم من اتخاذ القرار الصائب. ولذلك فالأكبر سناً أكثر احتمالاً لان يكون حكيماً أكثر من الأصغر سناً، لكن ليس كل الكبار حكماء، فمن يتيسر له أصل طيب وتنشئة دينية، وأفراد كبار فى أسرته ومحيطه، يستقى منهم أصول الحكمة، من الأكثر احتمالا أن يكون حكيماً، على أن ذلك لا ينفى وجود شباب حكماء، ولكنها تكون حالات استثنائية.

وبالرغم من أن القياس الظاهراتى من الطبيعى ألا يؤكد قياساً ظاهراتياً آخر، وأنه من الطبيعى أن تختلف النظريات الضمنية للأبنية النفسية عبر الثقافات ؛ لأنها فى النهاية تعبر عن خبرات شخصية ذاتية يمكن ألا تتكرر، ويمكن أن تختلف من ثقافة إلى أخرى.

إلا أن نتائج الدراسة الحالية اتفقت مع كثير من نتائج الدراسات السابقة.

فالجانب المعرفى الذى يتضمن الخبرة الواسعة، والمعرفة، والفهم، ورجاحة العقل، والحذر، والفطنة، والمرونة، وعدم التعصب، أشارت إليه معظم الدراسات؛ "فروبرت ج ستيرنبرج" أشار إلى القدرة على الاستدلال والحصافة وحدة الذهن، وأشار "هوليداى" و"كندلر" إلى الفهم الاستثنائى، وأشار "بول بالتس" و"أورسولام ستودنجر" إليه، كجانب مع الجوانب الأخرى الوجدانية، والدافعية التى تتسق وتتوازن فى شخصية الحكيم.

أما الذاكرة القوية، فلم تشر إليها أية دراسة، كذلك فالعلاقات الاجتماعية الواسعة، أشير إليها كعنصر من عناصر الحكمة، فى دراسة "مونتجمرى" و"باربر" و"مكى" ، وأشير أيضاً فى هذه الدراسة إلى الإرشاد والخبرة والزمن، والمبادئ الأخلاقية وكلها من عناصر الحكمة، التى اتضحت فى الدراسة الحالية.

كذلك فقد أشار "هوليداى" و "كندلر" إلى مهارات الاتصال والحكم بوصفها عنصراً أساسى من عناصر الحكمة.

أما عن المواقف التى تبدو فيها الحكمة، والتى اتضح أنها تتضمن النصح والإرشاد وحل المشكلات، واتخاذ القرارات فى المواقف الصعبة، ومراجعة الحياة فى تشابهت مع ما ذكر فى دراسة "مونتجمرى" و"باربر" و"مكى" من مواقف تبدو فيها القرارات الحكيمة.

وبعيداً عن عناصر الحكمة منفردة والتى أشارت إليها نتائج الدراسة الحالية، يمكن القول بأن أفراد العينة لديهم نظرية ضمنية يتضح فيها التكامل بين المعرفة والانفعال والعلاقات الاجتماعية الودية، التى تتراكم آثارها مع التقدم فى العمر، ومع التحلى بالمبادئ الأخلاقية وفضائل الأخلاق، وتنمو الحكمة فى سياق أسرى ومجتمعى يساعد على ظهورها، وتتشابه نتائج الدراسة الحالية مع رؤية "ديردر كرامر" ***Deirdre Kramer*** (١٩٩٠)، ومع منظور "أورول وبيرلموتر" (١٩٩٠) الذى يرى ضرورة دمج العوامل المعرفية، مع العوامل الشخصية، فى نمو الحكمة، ويفترض "كرامر" وجود خمس عمليات ترتبط بالحكمة:

١-الاعتراف بالفردية. ٢-الاعتراف بالسياق. ٣-القدرة على التفاعل المؤثر.

٤-فهم التغير والنمو. ٥-الانتباه إلى الانفعال والمعرفة.

ويرى أن الحكمة تمكن الفرد من التكيف مع مهام حياة الراشدين، مثل اختيار المهنة؛ وتنمية علاقات ودية، وتربية الأطفال، وبصفة عامة التكيف مع ضغوط حياة الراشدين، وبصفة خاصة تسمح الحكمة للأفراد بحل المشكلات التى تواجههم هم، وكذلك نصيحة الآخرين، وإدارة المؤسسات الاجتماعية، ومراجعة حياتهم الخاصة، والتأمل الروحى.

(Deirdre A. Kramer, 1990, pp. 279- 309).

والتشابه واضح بين ما يذكره "كرامر" من مهام ينجح فيها الراشدون الذين يتسمون بالحكمة، وتلك التى اتضحت من الدراسة الحالية.

ثالثاً: خاتمة البحث

بعد تجاهل استمر طويلاً لمصطلح الحكمة ودراستها- ربما يرجع فى جانب منه إلى ارتباط المصطلح بالفلسفة وسيطرة السلوكية على أواسط القرن العشرين ورفضها لكل ما هو عقلى – بدأ علماء النفس الاهتمام بدراسة الحكمة.

لكن هذا الاهتمام الذى بدأ من ثمانينيات القرن العشرين لم يدخل إلى العلم مصطلحاً جديداً لم يكن موجوداً من قبل، لان مصطلح الحكمة موجود منذ ما قبل سنة ١٠٠٠ (ألف) كما يذكر قاموس أوكسفورد، ومنذ (٣٠٠٠) ق.م ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد، كما يذكر جيمس إيرن ولوريل م. فيشر" ***Jemes E. Birren, Laurel M. Fisher*** (١٩٩٠)، فإنهم باطلاعهم على الانسيكوبيديا البريطانية اكتشفوا أن مصطلح الحكمة ذكر فى كتابات تمت فى مصر من (٣٠٠٠) سنة ق.م من

ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد ثم بعد (٦٠٠) ستمائة سنة بعد ذلك وجدوا كتابات لوزير يدعى "بتاح حتب" كان قد اكتسب مكانة رفيعة لحكمته، فقد احتفظ بتصوراته وإدراكاته في شكل محسوس أقوال، تعد من قبيل الأمثال واعتبرت أقدم كتاب في العالم. وكانت تعد نوعاً من الأبحاث الأخلاقية حيث كانت تناقش الحياة الجيدة ***good Life*** وقد تعهد بشرح كيفية تحقيق هذه الحياة لمجموعة من الأفراد تكتب لهم هذه المقالات. وخلال (١٥) الخمسة عشر قرناً التالية أو أكثر من ذلك ظهر في مصر كثير من الرجال الحكماء، وقد ترك بعضهم كتابات من الأمثال والبعض الآخر تعمق في التأمل وفكر في قيمة ومعنى الحياة الإنسانية ومشكلات ما وراء الطبيعة.

(James E. Birren, Laurel M. Fisher, 1990, pp. 318- 319).

والحكمة من الموضوعات ذات الجذور العميقة في الدين ففي التوراة مجموعة من الكتابات تعرف بتراث الحكمة ***(Id.)***.

وفي القرآن الكريم ذكرت كلمة الحكمة (٢١) إحدى وعشرين مرة في آيات عديدة اقترنت في معظمها بالكتاب مثل "ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل" الآية (٤٨) من سورة آل عمران، ومثل "تتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة" الآية (١٦٤) من سورة آل عمران.

وفي الآية (٢٩٦) من سورة البقرة يقول الله تعالى : "يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولوا الألباب" الآية (٢٦٩) من سورة البقرة.

وفي تفسير ابن كثير عن معنى الحكمة هي المعرفة بالقرآن، وهي الإصابة في القول، وهي العلم والفقه والقرآن، وهي الكتاب والفهم، وهي العقل، والحكمة هي الفقه في دين الله وأمر يدخله الله في القلوب من رحمته وفضله.

وعلاقة الحكمة بالفلسفة تمتد جذورها إلى حوالى (٤٠٠) أربعمائة سنة قبل الميلاد منذ فلاسفة اليونان سقراط، وأفلاطون، وأرسطو ، وهي موضوع أساسي من موضوعات الفلسفة.

ومع ذلك فالحكمة ما زالت مفهوماً غامضاً معقداً يستعصى على الدراسة العلمية داخل المعمل وهي لا تعد قدرة معرفية فحسب، ولا تكتسب مثل المعرفة، ولكنها بناء متعدد الأبعاد تندمج فيه معا العناصر المعرفية والوجدانية والإرادة.

إن تقدير مدى حكمة القرار الذي يتخذه الفرد لابد أن يوضع في اعتبار المقدر، ليس خصائص الشخص متخذ القرار فقط، بل لابد من النظر أيضاً إلى سياق المشكلة وقيود الزمن.

ولابد من تراكم الخبرات والمعرفة للإنسان الحكيم، ولا يجب ألا نغفل عن مكون القيم فالتنشئة في ثقافات معينة تيسر ظهور الحكمة.

بصفة عامة الحكمة جانب متكامل من الحياة الإنسانية، وهي تجمع معاً الخبرة، والقدرات المعرفية، والوجدان من أجل اتخاذ قرارات حكيمة على مستوى الفرد والمجتمع، وكل واحد منا في حاجة إلى أن يكون حكيماً في قراراته فالوالد في أسرته، والمعلم في عمله، والقائد السياسي ومدير

المؤسسة، بل إن كل منا فى حاجة لان يتحلى بالحكمة فى اتخاذ قرارات خاصة بمستقبله أو بتغيير مسار حياته، أو بمراجعة حياته أو بحل مشكلة تقابله، ولذلك سنجد أن كل منا إذا حاز عناصر الحكمة فى المعرفة والوجدان والإرادة فمن الممكن أن يكون حكيماً بقدر أو بآخر.

والحكمة لا يمكن النظر إليها كفضيلة منفصلة عن البشر، إنها لا توجد فى فراغ، وهى تنمو عبر الزمن. وهنا يجب أن نتوقع أن يكون المجتمع أيضاً مجتمعاً حكيماً يشجع اتخاذ القرارات الحكيمة، مجتمع له قيم تكمن وراء أحكامه حتى يتشكل سلوك الفرد الحكيم فى هذا المجتمع بكل مؤسساته.

إن أنظمة التعليم التى تيتم بحشو أذهان التلاميذ بحقائق ومعلومات عديدة منفصلة لا تتصل بالكليات ولا ترتبط بمواقف ومعانى الحياة الحقيقية هى أنظمة بعيده عن القيام بدورها فى تنمية الحكمة.

ولذلك يرى "فيموكت شيكشا" (١٩٩٩) أن فى مؤتمر الحكمة الذى عقد فى بوركينا فاسو سنة ١٩٩٨م، اتفق على أن تنمية الحكمة تتطلب فهم المبادئ المتضمنة فى الحكمة، وكذلك فالأمر فى حاجة إلى صياغة وخلق برامج ومناهج وأنشطة تعليم تساعد على تحقيق هذه المبادئ والتفاعل بين التأمل والتوجيه، أمر مهم فى هذه العملية. إن الفهم الحقيقى للتآلف والتناغم ضرورى لعمليات التعلم التى تسهم فى رفاهية الناس والمجتمع . ويضيف "فيموكت شيكشا" عندما يدرك كل منا أن بذور الحكمة موجودة داخلنا وأننا يجب أن نحترم ونقدر هذه الحكمة فى أنفسنا، وعند المعلمين وفى المؤسسات التعليمية سنكون قادرين على إعادة تكامل وإعادة تنمية الحكمة فى ثقافتنا". *(vimukt Shiksha, 1999).*

وإذا كان هذا هو الطريق إلى الحكمة فى بلد الكاتب وهى الهند التى لها تاريخ أيضاً وإسهامات فى الحكمة فقد يضلح أيضاً هنا فى مصر صاحبة أقدم كتابات فى الحكمة، فلنعمل جميعاً على إحياء وتنمية الحكمة التى توجد بذورها فى أنفسنا.

المراجـــع

١- على عبدالرازق جلبى: الاتجاهات الأساسية فى نظرية علـم الاجتمـاع، الإسـكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩١م.

2- Baltes, P. B. & Smith, J. (1990) Toward a Psychology of Wisdom And Its ontogenesis. In R.J.Sternberg (Ed.). Wisdom: Its Nature, Origins, And Development (pp. 87-120) New York: Cambridge University Press.

3- Baltes, P. B., Smith, J. & Staudinger, U.M. (1991) Wisdom and SuccessFul Aging. In T.B. Sonderegger (Ed.). Nebraska Symposium on Motivation, Vol. 39, (pp. 123- 167).

4- Baltes, P.B. & Staudinger, U.M. (1995) Wisdom. In Maddox, G.L. The Encyclopedia of Aging.

5- Baltes, P. B. & Staudinger, U.M. (2000) Wisdom A Metaheuristic (Pragmatic) to Orchestrate Mind and Virtue Toward Excellence. American Psychologist, Vol. 55, No. 1, (pp. 122- 136).

6- Birren, J.E. & Fisher, L.M. (1990) The Elements of Wisdom: Overview and Integration. In R.J.Sternberg (Ed.). Wisdom: Its Nature, Origins, And Development (pp. 317-332) New York: Cambridge University Press.

7- Chandler, M.J. & Holliday, S. (1990) Wisdom in A Postapocalyptic Age. In R.J.Sternberg (Ed.). Wisdom: Its Nature, Origins, And Development (pp. 121-141) New York: Cambridge University Press.

8- Kramer, D.A. (1990) Conceptualizing Wisdon: The Primacy of Affect-Cognition Relations. In R.J.Sternberg (Ed.). Wisdom: Its Nature, Origins, And Development (pp. 279-313) New York: Cambridge University Press.

9- Kockelmans, J.J. (1987) Husserl's Original View on Phenomenological Psychology. In J.J. Kockelmans (Ed.) Phenomenological Psychology: The Dutch School, Netherlands Martinus Nijhoff Publishers.

10- Kornhaber, A. Contemporary Grandparenting 1996, U.S.A. Sage Publications.

11- Lester,S. (1999).An Introduction to Phenomenological Research, http://www.devmts.demon.co.uk/resmethy.htm.

12- Limas, M.J. & Hansson, R.O. (2004) Organizational Wisdom, Int'L.J. Aging and Human Development, Vol. 54 (2) (pp. 85- 103).

13- Mckee, P. & Barber, C. (1999) On Defining Wisdom, Int.,' L. J. Aging and Human Development, Vol. 49 (2). (pp. 149- 164).

14- Montgomery. A., Barber, C. & Mckee, P. (2002) A Phenomenological study of Wisdom, Int.,' L.J. Aging and Human Develpopment, Vol. 54 (2) (pp. 139- 157).

15- Orwoll, L. & Perlmutter, M. (1990) the Study of Wise Persons: Integrating a Personality Perspective. In R.J.Sternberg (Ed.). Wisdom: Its nature, Origins, and Development (pp. 160-177) New York: Cambridge University Press.

16- Roy, F.H. & Russell, C. (1992) Wisdom. In the Encyclopedia of Aging and the Elderly. New York . Oxford. (pp. 228- 229).

17- Rudolph, K. Wisdom, (1987) In Mircea Eliade the Encyclopedia of Religion, Vol. 15. (pp. 393- 401) New-York, Macmilian Publishing Company.

18- Staudinger, U.M. & Baltes, P.B. (1996) Interactive Minds: A Facilitative Setting for Wisdom – Related Performance? Journal of Personality and Social Psychology, 71 (4), (pp. 746- 762).

19- Sternberg, R.J. (Ed.) (1990) Wisdom: Its Nature, Origins, and Development, New York: Cambridge University Press.

20- Sternberg, R.J. (1990A) Understanding Wisdom. In R.J.Sternberg (Ed.). Wisdom: Its Nature, Origins, And Development (pp. 3-9) New York: Cambridge University Press.

21- Sternberg, R.J. (1990 B) Wisdom and its Relations to Intelligence and Creativity. In R.J.Sternberg (Ed.). Wisdom: Its Nature, Origins, And Development (pp. 142-154) New York: Cambridge University Press.

22- Shiksha, V. (1999) Understanding Wisdom. http://www.swaraj/shikshantar/vimukt-.2html.

23- Taranto, M.A. (1989) Facets of Wisdom: A Theoretical Ssynthesis, Int.,' L J. Aging and Human Development, Vol. 29 (1) (pp. 1-21).

Wisdom at old age: A Phenomenological Study

Sania Gamal Abdel Hameed
South Valley University

Abstract

Since the dawn of human culture, wisdom has been the ideal of knowledge and personal functioning. But it is a very complex concept and it may be beyond what psychological methods and concepts can achieve. There are two approaches to study wisdom: implicit theories, which constitute people's folk psychology, and the investigator's task here is to discover what those theories are, and explicit theories, which are intentionally constructed by scientists. As the main goals of phenomenological approach are to access subjective experience and understand the phenomenon as it is experienced by the subject, thus it will be a suitable method to study wisdom as it appears in daily life and characterizes wise people which are the aim of the present study. The researcher interviewed individually five elderly people ages 60 to 65; all were college graduates and three hold advanced degrees. The interviews were audiotaped, transcribed and analyzed. I concluded that the essential elements of wisdom as it is lived are the wise man has cognitive, affective, social capacities, and moral principles, and he is religious. Wisdom appeared through social relationships where the wise man guides, makes difficult decisions and resolves problems.